تداولية الإشارة في بردة البوصيري ـ دراسة وصفية لغوية أدبية

آسيا محمد وداعة الله [١]

عثمان إبراهيم يحى إدريس [٢]

مستخلص:

تناولت هذه الورقة (تداولية الإشارة في بردة البوصيري – دراسة لغوية أدبية) مفهوم التداولية مركزة على تداولية الإشارة متخذةً من بنية الإشارة في قصيدة البردة نموذجاً للدرس التداولي الذي يعالج اللغة أثناء وظيفتها التخاطبية مبينةً أهمية الموضوع في تجسير الهُوة ما بين الدراسات النظرية والتطبيقية، فوجدنا من خلال التطبيق أن الإشارات في البردة لا تخرج عن الإشارات الشخصية، أو الزمانية، أو المكانية، أو الخطاب، أو الاجتماعية، وتوصلنا إلى نتائج عديدة أهمها أن الإشارات تسهم في توصيل مراد القائل، للسامع، وإن الإشارات الشخصية عند البوصيري على أقسام عديدة.

ABSTRACT:

This paper dealt tackled the research (The pragmatic of semantic sign in AL bosiry Borda – linguistic and literary study) its focuses on the conception meaning of pragmatic from Al Borda poem as sample for the pragmatic, that studying language in its pragmatic function, and considering on the structure of its signs, and its shows the important of the study that is narrowing the gap between the theoretical studies

and the applied studies, and the study out come was that the personal signs in AL Borda are:

personal sign, time sign, place sign, speech sign, and social sign, and the signs has conversational role, and there are many semantic signs In Alborda.

الكلمات المفتاحية:

الإحالة – المتلقي – النص.

١- جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا – كلية اللغات- قسم اللغة العربية- هاتف: ٠٩١٤٣١٦١٨٤

٢- جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا – كلية اللغات- قسم اللغة العربية

هاتف: ٠١٢٧٠٩٠٠٧٧ - بريد الكتروني: osmanyahya@ymail.com

المقدمة:

لا قيمة للنصوص خارج سياقها التداولي الذي يمثل ظروف إنتاجها من زمان ومكان، حتى تتضح مقاصد المتكلم والمعاني المطلوب إيصالها للمخاطب، وكذلك نوعية العلاقة الاجتماعية التي تجمع بين المتكلم والمخاطب، والتي تبث عبر وسائل الاتصال التي يرمي إليها المتكلم، فيستعمل المتكلم عدة طرق للإقناع والتأثير والأمر والإخبار، تحاول الدراسة التداولية أن تقدم ما يمكن أن يستجلي دور الأدوات الإشارية في النص من خلال مقاربة نطبق فيها بعض مفاهيم التداولية على نص شعري عربي.

أهداف الدراسة:

- تحديد صور الإشارة في بردة البوصيري.
- إبراز دور الإشارة في قيمة النص من الناحية الدلالية.
- تسليط الضوء على نص البردة بوصفه تراثا أدبيا إسلاميا قيما.

مشكلة الدراسة:

تكمن مشكلة الدراسة في الآتي:

- إثبات دور التداولية في التواصل بين المخاطب والسامع.

منهج الدراسة:

- اتبعت الدراسة المنهجين الوصفي، والاستقرائي.

أهمية الدراسة:

- تجسير الهوة بين الدراسات النظرية والتطبيقية في علم لغة النص.
- إثراء البحث في التراث الإسلامي.

مفهوم التداولية:

ورد في أساس البلاغة "دَوَلَ" دالت له الدولة، ودالت الأيام، أدال الله بني فلان من عدوهم أي جعل الكثرة لهم عليه، وأديل المؤمنون على المشركين يوم بدر، وأديل المشركون على المؤمنين يوم أحد، والله يداول الأيام بين الناس مرة لهم ومرة عليهم، وتداولوا الشيء بينهم، والماشي يداول بين قدميه[1]، وفي لسان العرب الدَّوْلة في الحرب أَن تُدال إِحدى الفئتين على الأُخرى، وفي المال؛ يقال: صار الفيء دُولة بينهم يَتَداوَلونه مَرَّة لهذا ومرة لهذا، والدُّولة اسم الشيء الذي يُتداول، والدَّوْلةُ الفعل والانتقال من حال إِلى حال، الشدَّة إِلى الرَّخاء؛ ومنه حديث أَبي سُفْيان وهِرَقْلَ: نُدالُ عليه ويُدالُ علينا أَي نَغْلِبه مرة ويَغلبنا أُخرى. ويوشِك أَن تُدال الأَرضُ منا كما أُدِلْنا منها أَي يُجعل لها الكَرَّةُ، ودالَت الأَيامُ أَي دارت، والله يُداوِلها بين الناس. وتَداولته الأَيدي: أَخذته هذه مرَّة وهذه مرَّة[2]. ويتضح من هذا وجود علاقة بين طرفين، أو اتصالهما بشيء محدد يتم تبادله وهذا ليس ببعيد عن المعنى الاصطلاحي للتداولية التي هي دراسة المحددات التي تتعلق بالتداول اللغوي بالنسبة للسياق والمقام، باعتبارهما ضرورة في كيفية التواصل وإنتاج الدلالة بين مستعملي اللغة في علاقاتهم التخاطبية من خلال دراسة تلك المحددات، والتداولية جزء من السيميائية تعالج العلاقات بين العلامات ومستعملي هذه العلامات[3]

منشأ التداولية:

ولدت التداولية متأثرة بالدراسات الفلسفية والمنطقية والقانونية والاجتماعية وغيرها، وتحديداً على يد المدرسة التحليلية بزعامة غوتلوب فريجه١٩٢٥م، إضافة إلى إسهامات عالم اللغة موريس من خلال تقسيمه الثلاثي

---

(١) الزمخشري، جارالله بن عمر(١٩٧٣م) أساس البلاغة، مادة دوال، ط٢، دار الكتب.

(٢) ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (د.ت) لسان العرب، مادة دول، طبعة بولاق، مصر، د. ت.

(٣) ويكيبيديا،(٢٠١٤/٩/٢ www.startimes.com)

بين حقول علم العلامات النحو، والدلالة، والتخاطبية أو التداولية[٤].

والتداوليات فرع من اللسانيات تشترك معها في بعض الأسس المعرفية، نظرية كانت أم إجرائية، و بناء على تعالق البنية اللغوية بمجالات استعمالها فهناك صِّلات رابطة بين العلوم المتشابكة والمتكاملة مفاهيمياً، خاصة مجالات: الفلسفة والتداوليات اللغوية وعلم النفس المعرفي وعلوم الاتصال. فالتداولية ليست علما لغوياً محضاً، بالمعنى التقليدي ، فهو لا يكتفي بوصف وتفسير البنى اللغوية ويتوقف عند حدودها وأشكالها الظاهرة، لكنه علم جديد للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال؛ ويدمج مشاريع معرفية متعددة في دراسة ظاهرة "التواصل اللغوي وتفسيره". وعليه، فإن الحديث عن "التداولية" وعن "شبكتها المفاهيمية" يقتضي الإشارة إلى العلاقات القائمة بينها وبين الحقول المختلفة لأنها تشي بانتمائها إلى حقول مفاهيمية تضم مستويات متداخلة، كالبنية اللغوية، وقواعد التخاطب، والاستدلالات التداولية، والعمليات الذهنية المتحكمة في الإنتاج والفهم اللغويين، وعلاقة البنية اللغوية بظروف الاستعمال ...الخ. فنحن نرى أن التداولية تمثل حلقة وصل هامة بين حقول معرفية عديدة، منها: الفلسفة التحليلية، ممثلة في فلسفة اللغة العادية، ومنها علم النفس المعرفي ممثلاً في نظرية الملاءمة على وجه الخصوص، ومنها علوم التواصل، ومنها اللسانيات بطبيعة الحال. ورغم اختلاف وجهات النظر بين الدارسين حول "التداولية" وتساؤلاتهم عن القيمة العلمية للبحوث التداولية وتشكيكهم في جدواها، فإن معظمهم يقر بأن قضية التداولية هي إيجاد القوانين الكلية للاستعمال اللغوي، والتعرف على القدرات الإنسانية للتواصل اللغوي، وتصير التداولية، من ثم جديرة بأن تسمى: علم الاستعمال اللغوي[٥].

التداولية هي دراسة المعنى كما يرسله المتكلم أو الكاتب، ويفسره المستمع أو القارئ، وبذلك تكون التداولية مرتبطة بتحليل ما يعنيه الناس بألفاظهم أكثر من ارتباطها بما يقولون، وعليه يمكن تعريف التداولية بأنها المعنى الذي يقصده المؤلف[٦].

وهي دراسة المعنى السياقي؛ أي أن يُضَمّن تفسير ما يعنيه الناس في سياق معين، وكيفية تأثير السياق في ما يقال، وكذلك يتطلب التمعن في الآلية التي ينظم بها المتكلمون ما يريدون قوله وفقا لهوية مَنْ يتكلمون إليه، ومكان، وزمان، وظروف الكلام.

التداولية هي دراسة كيفية إيصال أكثر مما يقال للمخاطب، وهي دراسة الكيفية التي يصوغ من خلالها المستمعون استدلالاتهم حول مايقال للوصول إلى تفسير المعنى الذي يقصده المتكلم، على أنه جزء من مما قيل، أي دراسة المعنى المراد غير الملفوظ.

والتداولية هي دراسة التعبير عن التباعد النسبي بين المتكلم والسامع، وهنا يمكن التساؤل حول ما يمكن أن يحدد ما قيل وما لم يتم قوله فيربط الجواب الرئيس للمقول بمفهوم التباعد الذي يطوي القرب المادي أو الاجتماعي أو المفاهيمي في إطار دلالي مشترك حيث يحدد المتكلمون ما يحتاجون قوله بناءً على افتراض قرب المستمع أو بعده[٧].

---

(٤) صحراوي، مسعود(٢٠٠٥م) التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي، ط١، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ص ١٥-٣٠.

(٥) المرجع السابق، ص ١٥-٣٠.

(٦) يول، جورج (د.ت) التداولية، ترجمة: قصي العتابي، ط١، الدار العربية ، ص١٩-٢٠.

(٧) المرجع السابق، ص١٩-٢٠.

أهمية التداولية:

تكمن أهمية التداولية في كونها تهتم بدراسة اللغة في علاقتها بمستخدميها، في حين ظلت الدراسات اللسانية التقليدية تهتم بالتراكيب والمعاني، بينما ركزت التداولية على الجانب الاتصالي، أي علاقة الإشارة بمستخدميها. هذا الجانب الذي ظل مستبعداً دائما من قبل اللسانيين الذين ركزوا على جوانب القواعد الشكلية وميّزوا الاستخدام اليومي العادي عن الاستخدام العام، لكن ردود الفعل توالت حديثاً ضد هذا الاستبعاد، لأن اللغة لا يمكن أن تنعزل عن استخدامها وتنحصر في علمي النحو والمعاني، بل أن الاتصال يلعب دوراً فاعلاً إذا أردنا أن نفهم حقيقة اللغة البشرية التي هي خزانة مقاصد، وينبوع معانٍ، ينهل منه الناس لتحقيق أغراضهم، وقضاء مآربهم، والإفصاح عن أفكارهم. ولا يتم كل ذلك إلا بواسطة آلة التعبير عن المعاني في السياق المناسب، وإن لم يكن هذا، فما جدوى اللغة التي نتكلم بها إذا لم تكن حاملة للمعاني، ومفسّرة لأحوال الناس، ومفصحة عن مكنوناتهم، ومحققة لأغراضهم، وكذلك تكمن أهميتها من كونها تتعلق بالكيفية التي يتمكن من خلالها الناس فهم أحدهم الآخر لغويا، ولكنها قد تنقلب لتكون ميداناً دراسياً محبطا لأنها تتطلب منا فهم الناس وما في عقولهم[٨].

مسائل التداولية:

تشمل مسائلها كل العناصر التي تسهم في إحداث التخاطب من وضع واستعمال وقرائن، وأنواع الدلالة المختلفة، والنظريات الدلالية ذات صلة بالاستعمال والسياق، أما مبدؤها فهي قضايا اللغة المختلفة التي تبحث في فقه اللغة، والصرف، والنحو، والبلاغة، واللسانيات، وتحليل الخطاب والنص، وعلم الأصول، وعلم الحديث، والمنطق، والفلسفة، وغير ذلك مما له صلة بالموضوع.[٩]

فروع التداولية:

لسعة الدراسات التداولية فقد تفرعت عنها نظريات متعددة، اهتم كل منها بجانب تداولي معين، وتطورت أبحاثه في عدة مسارات، فمنها:

١. التداولية التطبيقية: وتعنى بمشكلات التواصل في المواقف المختلفة، وفيها تعالج مسألة تداولية الإشارة التي تنضوي تحتها هذه الدراسة.
٢. التداولية الاجتماعية: التي تهتم بدراسة شرائط الاستعمال اللغوي المستنبطة من السياق الاجتماعي.
٣. التداولية اللغوية: وتدرس الاستعمال اللغوي من وجهة نظر تركيبية.
٤. التداولية العامة: و تعنى الأسس التي يقوم عليها استعمال اللغة استعمالاً اتصالياً[١٠]

تداولية الإشارة:

تداولية الإشارة هي التي تهتم بدراسة الإشارة والعلامات اللغوية التي لا يتحدد مرجعها إلا في سياق الخطاب، نحو: أسماء الإشارة، وأسماء الموصول، والضمائر، وظروف الزمان والمكان وهي فرع من التداولية التطبيقية.

والدراسات التداولية التطبيقية تهتم بأكثر من جانب من جوانب الخطاب، ويمكن إرجاع هذه الجوانب إلى أربعة مسارات، يتضمن كلاً منها عدداً من الدراسات، وهذه المسارات هي: الإشاريات، والافتراض المسبق،

---

(٨) المرجع السابق، ص١٩-٢٠.

(٩) يونس، محمد (٢٠٠٦م) علم التخاطب الإسلامي: دراسة لسانية لمناهج علماء الأصول في فهم النص، دار المدار الإسلامي، ص٨.

(١٠) نحلة، محمود أحمد (٢٠٠٢م) آفاق جديدة في البحث اللغوي، دار المعرفة *الجديدة* ، مصر، ص١٥.

والاستلزام الحواري، والأفعال الكلامية.[١١]، وفي هذه الدراسة نكتفي بتداولية الإشارة التي عين مدلولها تعييناً مقروناً بإشارة حسية أو معنوية، وبعبارة أخرى هو كلمة تشير إلى شخص أو شيء معين بواسطة إشارة حسية باليد أو نحوها، إذا كان المشار إليه حاضراً ومرئياً، أو بإشارة معنوية، إذا كانَ المشار إليه معنى، أو ذاتاً غير حاضرة.

الإشاريات:

الإشاريات تعني أسماء الإشارة وأسماء الموصول، والضمائر، وظروف الزمان والمكان؛ وهي من العلامات اللغوية التي لا يتحدد مرجعها إلا في سياق الخطاب؛ لأنها خالية من أي معنى في ذاتها، لذلك فقد كان العرب سابقاً يطلقون عليها المبهمات.[١٢] إلا أنها عامل هام في تكوين بنية الخطاب فلها دور مهم في الإحالة إلى المعلومات[١٣]"والإشاريات هي تلك الأشكال الإحالية التي ترتبط بسياق المتكلم مع التفريق الأساسي بين التعبيرات الإشارية القريبة من المتكلم مقابل التعبيرات الإشارية البعيدة عنه"[١٤] فكل فعل لغوي يكون ناجحاً إذا علم المخاطب قصد وإحالة العبارة، على أن يكون للمتكلم غرض ينبغي بموجبه أن يشكل المخاطب هذه المعرفة.[١٥]

فالمتكلم يشكل المركز الذي من خلاله يمكن أن نحدد مسألة القرب والبعد المادي والاجتماعي، بالنسبة لأطراف الخطاب. ولتوضيح هذا الكلام سنعمد إلى أصناف الإشاريات وسنوضح من خلالها المفاهيم التداولية التي تكتنف كل صنف.

أصناف الإشاريات:

الإشاريات الشخصية: وتمثلها الضمائر الشخصية للمتكلم والمخاطب والغائب، إفرادا وتثنية وجمعا.

الإشاريات الزمانية: هي كلمات تدل على زمان محدد.

الإشاريات المكانية: وهي كلمات الإشارة الدالة على مكان.

الإشاريات الاجتماعية: وهي ألفاظ وتراكيب تشير إلى معنى يفيد علاقة اجتماعية.

الإشاريات الخطابية: وتتمثل في العبارات التي تشير إلى موقف المتكلم من المخاطب.

ويرى بعض الباحثين أن (ال) التي للتعريف تدخل في العناصر الإشارية؛ لأنها تقوم بالوظيفة التي يقوم بها اسم الإشارة، والفرق بينهما أن اسم الإشارة يدل على القرب والبعد، أما(ال) التي للتعريف فهي غير موسومة بقرب ولا بعد.[١٦]

وسنطبق ما سبق ذكره من أصناف الإشارة على نص أدبي من العصر الوسيط حظي بالعناية من العلماء

---

(١١) *الشهري، عبد الهادي*(٢٠٠٢م) *استراتيجيات الخطاب*: مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، ص٢٤.

(١٢) بلعيد(٢٠٠٥م) التداولية البعد الثالث في سيميوطيقا موريس(فصول، ربيع، عدد ٦٦، ٢٠٠٥) ، ص٤١.

(١٣) أرمينكو، *فرانسواز أرمينكو*، *المقاربة التداولية*، ترجمة: سعيد علوش، منشورات مركز الإنماء العربي، ١٩٨٧م، ص:٤١.

(١٤) الشهري، عبد الهادي، إستراتيجيات الخطاب، مرجع سابق، ص٨١.

(١٥) دايك، فان(٢٠٠٠م) النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة: عبد القادر قنيني، الدار البيضاء، أفريقيا الشرق، ص٢٦٦.

(١٦) نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، مرجع سابق، ص٢٢ وما بعدها.

والعامة على حد السواء لشرف موضوعه ومضمونه هو قصيدة البردة للإمام العلامة محمد بن سعيد بن حماد البوصيري.

التعريف بالإمام البوصيري:

هو محمد بن سعيد بن حماد بن تحسن بن أبي سرور بن حيان بن عبدالله بن ملاك الصنهاجي، البوصيري المصري المكني بأبي عبدالله، والملقب بشرف الدين، ولد بقرية دلاص، وكانت أمه من دلاص وأبوه من بوصير، ولذلك، اشتهر بالبوصيري نسبة لمكان ولادة والده، نشأ في أسرة فقيرة، لذلك اضطر إلى السعي لطلب الرزق منذ صغره وكان البوصيري يجيد فن الخط، فزاول كتابة الألواح التي توضع على شواهد القبور، ولموهبته الشعرية مدح الوزراء والأمراء بأشعاره وذلك في مرحلة مبكرة من حياته ونال من عطاياهم[١٧]، بدأ حياته العلمية بحفظ القرآن، ثم افتتح كتّابا لتعليم الصبيان القرآن، ودرَّس العلوم الدينية، وعمل كاتباً بمحافظة الشرقية، مدح النبي ﷺ بقصائد كثيرة من أشهرها قصيدة (بردة المديح)، التي عارض فيها قصيدة كعب بن زهير المسماة (البردة) والتي يقول في مطلعها:

بانتْ سُعادُ فقلبي اليومَ متبولُ

مُتيمٌ إثرها، لْم يُفدَ مكبُولُ[١٨]

كان صوفياً تلقى ذلك عن أبي العباس المرسي الذي خلف أبا الحسن الشاذلي في طريقته، وقد درس التصوف وآدابه وأسراره على شيخه أبي العباس الذي كانت تربطه به علاقة الحب، أما وفاته فقال المقريزي في ترجمته للبوصيري في المقفى: ومات في سنة خمس وتسعين وستمائة بالمارستان " المستشفى" المنصوري من القاهرة، وذكر الزركلي في الأعلام : أنه توفي بالإسكندرية. وكذلك كان الخلاف في سنة الوفاة، فقال المقريزي سنة ٦٩٥ هجرية، وذكر الزركلي أنها سنة ٦٩٦ هـ، وقيل: سنة ٦٩٤ هـ[١٩]

التعريف بالبردة:

قصيدة البردة وتسمى البُرأة أو الكواكب الدريّة في مدح خير البرية، تعدُّ أحد أشهر القصائد في مدح النبي محمدﷺ، نظمها محمد بن سعيد البوصيري في القرن السابع الهجري الموافق القرن الحادي عشر الميلادي . وقد أجمع معظم الباحثين على أن هذه القصيدة من أفضل وأعجب قصائد المديح النبوي إن لم تكن أفضلها، حتى إنها أشهر قصيدة مدح في الشعر العربي بين العامة والخاصة، وقد انتشرت هذه القصيدة انتشارًا واسعًا في البلاد الإسلامية، وأقيمت لها مجالس عرفت بمجالس البردة الشريفة [٢٠]، أو مجالس الصلاة على النبي، والبوصيري بهذه البردة هو الأستاذ الأعظم لجماهير المسلمين، ولقصيدته أثر في تعليمهم الأدب والتاريخ والأخلاق، فعن البردة تلّقى الناس طوائف من الألفاظ والتعابير غنيت بها لغة التخاطب، وعن طريق البردة عرفوا أبوابًا من السيرة النبوية، وعن طريقها تلّقوا أبلغ درس في كرم الشمائل والخلال. وليس من الغريب أن

---

(١٧) عوض، أحمد عبد التواب(١٩٩٦م) البردة، دار الفضيلة ، القاهرة ، ص١٠.

(١٨) الحموي، ابن حجة (١٩٨٥م) شرح قصيدة كعب بن زهير، ت: علي حسين البواب، مكتبة المعارف، الرياض، ص٢٧ .

(١٩) صبيحة بنت عبد الغني حليمة بنت عبد الله، وآخرون(٢٠٠٤م) قراءَةٌ في بُردة الإمام البُوصيريّ معانيها، ص٢.

(٢٠) فلاق، محمد(٢٠١٠) إظهار صدق المودة في شرح البردة،(رسالة ماجستير غير منشور) جامعة مولاي معمري، الجزائر، ص٢٥.

تنفذ هذه القصيدة بسحرها الأخاذ إلى مختلف الأقطار الإسلامية، وأن يكون الحرص على تلاوتها وحفظها ودراستها من وسائل التقرب إلى الله والرسول.[٢١]

أما عن سبب نظم هذه القصيدة فيقول البوصيري: كنت قد نظمت قصائد في مدح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، منها ما اقترحه عليّ الصاحب زين الدين يعقوب بن الزبير، ثم اتفق بعد ذلك أن داهمني الفالج (الشلل النصفي) فأبطل نصفي، ففكرت في عمل قصيدتي هذه فعملتها واستشفعت بها إلى الله في أن يعافيني، وكررت إنشادها، ودعوت، وتوسلت، ونمت فرأيت النبي فمسح على وجهي بيده المباركة، وألقى عليّ بردة، فانتبهت ووجدتُ فيّ نهضة، فقمت وخرجت من بيتي، ولم أكن أعلمت بذلك أحداً، فلقيني بعض الفقراء فقال لي: أريد أن تعطيني القصيدة التي مدحت بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقلت: أي قصائدي؟ فقال: التي أنشأتها في مرضك، وذكر أولها وقال: والله إني سمعتها البارحة وهي تنشد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأعجبته وألقى على من أنشدها بردة. فأعطيته إياها. وذكر الفقير ذلك وشاعت الرؤيا)[٢٢].

أما عدد فصولها فعشرة فصول ترتيبها كما يلي:الفصل الأول: في الغزل وشكوى الغرام.الفصل الثاني :في التحذير من هوى النفس.الفصل الثالث: في مدح سيد المرسلين. الفصل الرابع :في مولـــــده. الفصل الخامس : في معجزاته، والفصل السادس :في شـــرف القرآن ومدحه، والفصل السابع :في إسرائه ومعراجه، والفصل الثامن: في جهاد النبي، والفصل التاسع: في التوسل بالنبي الفصل العاشر :في المناجاة وعرض الحاجات،

وشرح البردة عدد كبير من أئمة السنة واعتنوا بها اعتناء كبيرا، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر، شهاب الدين القسطلاني، وجلال الدين المحلي، والزركشي، وألهمت البردة الكثيرين من الشعراء والأدباء على مر العصور، وأشهر من نهج على نهج بردة المديح للبوصيري أحمد شوقي.[٢٣]

الإشاريات الشخصية:

وتشمل ضمائر المتكلم، والمخاطب، والغائب، فهذه الضمائر عناصر إشارية، لأنَّ مرجعها يعتمد اعتماداً تاماً على السياق الذي تستخدم فيه. [٢٤]

مثل:أنا نعسان. فالسياق هو الذي يحدد إحالة الضمير (أنا).

ظَلمتُ سُـنَّةَ مَن أحيـا الظلامَ الى

أن اشـتَكَتْ قدمَـاهُ الضُّرَّ مِن وَرَم [٢٥]

فإحالة الضمير في أحيا وفي اشتكت يحددها سياق النص، كذلك حال الضمير في(قدماه)

ولا بد في الإحالة من تحقق شرط الصدق فلو قالت امرأة: أنا أم نابليون. فليس بكاف أن يكون مرجع الضمير هو القائل بل لا بد من التحقق من مطابقة المرجع للواقع، بأن تكون هذه المرأة هي أم نابليون فعلاً، وأن تكون الجملة قيلت في الظروف التاريخية المناسبة.[٢٦]

([٢١]) المرجع السابق، ص٢٥.

([٢٢]) المرجع السابق، ص٢١-٢٧.

([٢٣]) المرجع السابق، ص١٦.

([٢٤]) نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصـــر، مرجع سابق، ص١٨.

([٢٥]) البوصيري(١٩٩٥م) بردة المديح المباركة، شرح الدكتور أحمد عمر هاشم، دار المقطم للنشر والتوزيع ،القاهرة، ص٩.

([٢٦]) نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصـــر، مرجع سابق، ص١٨.

وقد ينشأ نوع من اللبس في استخدام الضمائر، إذا تعدد الأشخاص في النص فيؤدي هذا إلى تعدد في إحالات الضمائر، مثل: دخل خالد القاعة فرأى بكراً جالساً ورآه بكر فابتسم له وصافحهُ.

فإن إحالة الضمير في (ابتسم) و(صافحه) فيها نوع من اللبس في أنها يمكن أن تعود على خالد أو على بكر.[٢٧]

أما في بردة البوصيري فالإشارات الشخصية على أقسام حسبما تعني الإشارة أو يعود الضمير أو يختص المعنى، وأهمها : الإشارة الشخصية للنبي ﷺ، والإشارة الشخصية للمتكلم، والإشارة الشخصية للمخاطب، والإشارة الشخصية للغائب نعرضها على ترتيبها.

أ-الإشارات الشخصية للنبي ﷺ.

ويندر أن يخلو منها بيت في النص وجلها وعمادها الضمائر مع أنَّه ذكر اسمه ﷺ في النص مرتين فضلا عن قوله النبي، ورسول الله، هذا إلى جانب أسماء الفاعلين والصفات وزيادة"ال" التعريف لكثير من الصفات، مع ملاحظة وجود كثير من الضمائر تابعة لهذه الأسماء والصفات ومن أمثلة هذا قوله:

محمدٌ سيدُ الكونينِ والثقَلَيْنِ
والفريقين مِن عُربٍ ومِن عَجَمِ

***

نَبِيُّنَا الآمِرُ النَّاهِي فلا أَحَدٌ
أبَرُّ في قَولٍ لا منه ولا نَعَمِ

***

هُو الحبيبُ الذي تُرجَى شفاعَتُهُ
لكُلِّ هَوْلٍ مِن الأهوالِ مُقتَحَمِ

***

دَعَا إلى اللهِ فالمُستَمسِكُون بِهِ
مُستَمسِكُونَ بِحبلٍ غيرِ مُنفَصِمِ

***

فاقَ النَّبيينَ في خَلْقٍ وفي خُلُقٍ
ولم يُدَانُوهُ في عِلم�ٍ ولا كَرَمِ[٢٨]

وفي قوله:محمدٌ سيدٌ الكونين والثقلين .....(نبينا ...) (هو الحبيب ...) نجده يذكر العلم (محمدٌ) ثم يشير إليه مستخدماً اسم الفاعل في البيت التالي وضمير الرفع المنفصل (هو) في البيت الثالث وغيره بهدف المساعدة في تيسير عملية التخاطب، وذلك انه في قوله (محمدٌ سيد...) استهل بجملة المبتدأ والخبر، وخبره أفاد عن المبتدأ من عُدة جوانب، فهو سيد الكونين وإن كان الكون واحداً معلوماً عندنا، فهو في عُرْف المتصوفة كون ظاهري وكون باطني، وسيد الثقلين الجن والإنس فلهما أرسل ومقام الرسالة يقتضي الطاعة وهى من شئون السيادة، وهو كذلك سيد فريقي البشر عُرباً وعجما، فنرى أن الخبر أفاد ثلاثة أخبار كل واحد منها جدير بمبتدأ خاص، وهذه الأخبار لا تلقى إلا لمتلقي تفيده عن حال المبتدأ، ومخاطبة المتلقي هنا تهدف إلى تعميق معنى سيادته ﷺ على المذكورين الثلاث.

ولما أتى للبيت التالي كان بإمكانه أن يقول وسيدنا، ويستقيم عروض البيت ويرسخ المعنى المقصود إليه في سابقه، لكنه أراد إعطاء المصطفى ﷺ حقه في النبوة، علماً بأن كلمة (نبينا) أعقبتها كلمتا (الآمرُ الناهي) وهما من لوازم السادة أياً كان السيد، ولو قالها لجعله ﷺ مثل غيره ممن سادوا وسُودوا بحق أو بغير حق، لكنه جعل الأمر والنهى عن الرسول ﷺ حقاً له يجب على من حوله من المؤمنين الالتزام به، وهنا نلحظ الضمير المستتر في(الآمر) أي هو، (الناهي) أي هو كما هو معلوم من أن

(٢٧) المتوكل، أحمد(د.ت) قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، الدار البيضاء، دار الثقافة، ص١٤٤.

(٢٨) البوصيري، بردة المديح المباركة، مرجع سابق، ص١٠-١١.

اسم الفاعل يرفع فاعلا ضميرا مستترا وهذا الضمير يمثل إشارة شخصية إلى النبي ﷺ، لأن أمره ونهيه ليسا منه بل من الله تعالى أصلاً ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ [٢٩] فالنبي ﷺ لا يأمر بحق السيادة التي هي أصلاً له على الثقلين بل لتفضيله على من يأمرهم وينهاهم،(لا أحد أبر منه...)، في قول لا أو نعم، وأن كان الترتيب الظاهري لألفاظ البيت يقتضي قول (نعم) قبل (لا) لتناسبها مع الأمر وتناسب لا مع النهى الذي كان في صدر البيت تالياً للأمر، لكنا نجد له مندوحة في أن القصيدة ميمية مما يعلل وجود نعم في آخر البيت، ثم أن الأنبياء يأمرون بالبر والعدل قبل نهي الناس عن الشرك والضلال مما يبرر وجود الأمر قبل النهي.

وفي البيت الثالث يقول (هو الحبيب ...) وهنا نلحظ الإشارات المساعدة على تيسير التخاطب عديدة تتبدى في ضمير الرفع المنفصل (هو) الذي يعود على الاسم (محمد) والتعيين في الحبيب بال التعريفية التي تعمق معاني محبته ﷺ بين جميع من يدينون بالإسلام (لا يُؤمن أحدُكم حتَّى أكونَ أحبَّ إليه مِنْ والده وولدِهِ والنَّاس أجمعين[٣٠] ثم استخدم بعدها الاسم الموصول (الذي) وهو للمفرد المذكر ولا فرق في ذلك أن يفيد إفرادا حقيقيا أو حكمياً[٣١] وكانت صلته (تُرجّى شفاعته) ومن الإشارات الشخصية (الهاء) في شفاعته، ثم أنه جعل الشفاعة شاملة بقوله (لكل) وهنا ديمومة الشفاعة وشدة الحاجة إليها عند الساعة وأهوالها.

ب-الإشارات الشخصية للمتكلم(البوصيري):

أما الإشارات الشخصية لشخصية البوصيري فيمكن أن نلحظها في العبارات: "اتهمتُ" في تاء المتكلم التي تعد إشارة إلى نفسه، وكذلك في" أمَّارَتِي" حيث تمثلها ياء المتكلم، وتاء المتكلم في قوله:(لو كنت)، حيث تمثلها التاء.

إنِّي اتَّهَمْتُ نصيحَ الشَّيْبِ فِي عَذَلِي
والشَّيْبُ أبعَدُ فِي نُصْحٍ عَنِ التُّهَمِ

***

فَانَّ أمَّارَتِي بالسوءِ مَا اتَّعَظَت
مِن جهلِهَا بنذير الشَّيْبِ والهَرَمِ

***

ولا أعَدَّتْ مِنَ الفِعلِ الجميلِ قِرَى
ضَيفٍ أَلَمَّ برأسي غيرَ مُحتشِمِ

***

لو كنتُ أعلمُ أنِّي مَا أُوَقِّرُهُ
كتمتُ سِرًّا بَدَا لي منه بالكَتَمِ[٣٢]

هنا الأبيات تشير إلى التحذير من هوى النفس لذلك جاءت الإشاريات وفيها تشير إلى موقف خاص بالشاعر، ما يؤكد ذلك ضمير المتكلم المضاف، في الأفعال الآتية: أمَّارتي، ولا أعددتُ، لو كنتُ، يا لائمي، وبما أن التحذير يهيب بالمتكلم بنفسه أو بغيره أن يتجنب تحقيق الواقعة

([٢٩]) سورة النجم، الآية:٣،٤.

([٣٠]) *البخاري*، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل(٢٠١٢م) *صحيح البخاري* ، دار التأصيل، أخرجه مسلم في الإيمان، باب: الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه...، رقم: ٤٥.

([٣١]) ابن عقيل(١٩٩٩م) شرح ابن عقيل، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة دار التراث ، ص١٤٠-١٤١.

([٣٢]) البوصيري، بردة المديح المباركة، مرجع سابق، ص٦.

التي يتضمنها فحوى الخطاب[٣٣]، فهذه العبارات السابقة كلها تعد فعلا خطابيا له ما له من قوة إنجازية.

يقول البوصيري:

أمِنْ تَـذَكُّرِ جيرانٍ بـذي سَـلَمِ
مَزَجْتَ دَمعـا جرى مِن مُقلَةٍ بِدَمِ

***

أَم هَبَّتِ الريحُ مِن تلقـاءِ كـاظِمَةٍ
وأومَضَ البرقُ في الظَّلمـاءِ مِن اِضَمِ

***

فـما لِعَينـيك إن قُلتَ اكْفُفَـا هَمَتَا
وما لقلبِكَ إن قلتَ استَفِقْ يَهِـمِ[٣٤]

يتساءل البوصيري عن علة جري دمع مقلته سخينا ممزوجا بالدم وقدم له أكثر من سبب في الوقت ذاته أحدها: في خاطره لم يره والآخر وهو الذكرى لجيران بعدَ وبعدوا عن ذي سلم فهفت النفس إليهم وسالت الدموع حرى، وثانيها رياح أتت من جهة كاظمة كأنها حملت إليه نفح ما يحب "مكة" فاشتاق شأنه في ذلك شأن يعقوب عليه السلام حين وجد ريح يوسف، وأما ثالث الأسباب فهو وميض برق مزق حجب الظلام من جهة إضم، وللشاعر فيها أحباب الرسول ﷺ مزق ذكراهم حجب البعد بشقيه الزماني والمكاني فتنقله بالقلب والذكرى من الحاضر إلى الماضي فتهمي العينان وينفطر القلب ويكابد الشاعر بجلده كليهما، فتهيجا ويقول للقلب استفق فيهيم أكثر، فنجد ضمير المخاطب في الفعل (مزجتَ) يحيل إلى خارج النص، إذ يخاطب الشاعر نفسه بتجسيد ذاته خارج النص ومخاطبتها بضمير المخاطب (التاء)، كذلك التأشير المكاني في (كاظمة) التي تعني مكة المكرمة.

ثم يأتي بالضمير(الكاف) في فما لعينيك إن قلت أكففا همتا، فهو ذكر المقصود بالخطاب مسبقا (التاء) ثم بدأ يخاطبه، بالضمير السالف(الكاف) في قوله: (عينيك)، والضمير اللاحق في(قلبك)، فنستطيع من خلال هذه الإشارات أن نحيل هذه الأحداث في الخارج، أعني خارج النص؛ تحقق مطابقة النص للواقع خدمة للتخاطب، ورغم تعدد الإشارة في النص إلا أنه لا نكاد نجد لبساً في فهم النص إلا في الضمير الذي أحاله إلى نفسه في مطلع قصيدته (مزجتَ) هناك إشاريات للخطاب تعد من خواص الخطاب وتتمثل في العبارات التي تذكر في النص مشيرة إلى موقف خاص بالمتكلم.[٣٥]

ج- الإشارات الشخصية للمخاطب المتلقي سامعا كان أو قارئا:

وتمثلها الوحدة اللغوية (واخْشَ الدَّسَائِسَ..) التي تتمثل في فعل الأمر الذي يستوجب مخاطبا، وهو بالضرورة موجه الى المخاطب، وكذلك في الوحدة اللغوية (واستَفرِغ) وغيرها.

واخْشَ الدَّسَائِسَ مِن جوعٍ ومِن شِبَعٍ
فَرُبَّ مخمَصَةٍ شَـرٌّ مِنَ التُّخَمِ

***

واستَفرِغِ الدمعَ مِن عينٍ قَـدِ امْتَلأتْ
مِن المَحَـارِمِ والْزَمْ حِميَـةَ النَّـدَمِ

***

وخالِفِ النفسَ والشيطانَ واعصِهِمَا
وإنْ هما مَحَّضَـاكَ النُّصحَ فاتَّهِـمِ

---

(٣٣) المتوكل، احمد(٢٠١٠م) الخطاب وخصائص اللغة العربية، دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، الدار العربية للعلوم، ط١، ص٥٨.

(٣٤) البوصيري، بردة المديح المباركة، مرجع سابق، ص٣.

(٣٥) نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، مرجع سابق، ص٢٤.

***

ولا تُطِعْ منهما خصمًا ولا حكَمًا

فأنت تعرفُ كيدَ الخَصمِ والحَكَمِ[٣٦]

وكذلك نلحظ الإشارات الشخصية المقصود بها المتلقي فجلها يكمن في حرف الخطاب والضمير المستتر في قوله:

فلا تَرُمْ بالمعاصي كَسْرَ شهوَتهَ

إنَّ الطعامَ يُقوِّي شهوةَ النَّهِمِ

***

والنَّفسُ كَالطّفلِ إنْ تُهمِلْه شَبَّ عَلَى

حُبِّ الرّضَاع وَإنْ تَفْطِمْهُ يَنفَطِمِ

***

فاصْرِف هواها وحاذِر أَن تُوَلِّيَهُ

إنَّ الهوى ما تَوَلَّى يُصْمِ أو يَصِمِ

***

وراعِهَا وهْيَ في الأعمال سائِمَةٌ

وإنْ هِيَ استَحْلَتِ المَرعى فلا تُسِمِ

ففي الفعل (تُرم) ضمير مستتر تقديره أنت وجهه الشاعر للمتلقي، وفي البيت الثاني في فعليه (تهمله ... تفطمه) نجد الفاعل في كل منهما ضميراً مستتراً تقديره أنت موجه للمتلقي. و في صدر البيت الثالث نجد ثلاثة أفعال (فاصرف ــ حاذر– توليه) كلها وكل فاعلها الضمير المستتر فيها، وفي البيت الرابع فعلان في أوله وأخيره هما: (راعها ... تسم) وكلاهما فاعله ضمير مستتر تقديره أنت وجهه الشاعر للسامع أو القارئ وهدفه من مخاطبة المتلقي دفعه للمشاركة الوجدانية في مضمون القصيدة وقد اتخذ البوصيري النصح والحكمة وسيلة لذلك فنصح المخاطب بالابتعاد عن المعاصي واستخدم لذلك وسيلة تعليمية بسيطة أخذها من البيئة (فطام الطفل). وعاد به بعد ذلك لمديحه ﷺ فقال:

دع ما ادعته النصارى في نبيهم

وأحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم

***

وأنسب إلى قدرهُ ما شئت من عظم[٣٧]

وأنسب إلى ذاته ما شئت من شرف

وهنا مع مخاطبة الشاعر للمتلقي نجد المضمون لا يخرج عن غرض مدحه ﷺ وذكر صفاته ومقارنة مكانته عند تابعيه بمكانة عيسى عليه السلام عند النصارى حيث رفعوه حتى المشاركة في الربوبوية وذلك شرك فالله واحد أحد، بل جانبوا الصواب فادعوا لله ابناً وذلك كفر صراح ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ ﴾[٣٨] وإن كان عيسى عظيم في إنسانيته فقد اخطأ النصارى وادعوا له غير ما يناسب عظمة الإنسان العبد النبي الرسول وهو ما جعل البوصيري بترك ما قاله النصارى ونسب الشرف، ونسب الشرف والرفعة مهما زادت للنبي ﷺ، وهنا لم يمدح البوصيري الرسول صلى الله علية وسلم بصفة شرف أو علو قدر أو تعظيم محدد، بل نجده يضع معداته وينزل عن فرس المدح متيحاً للمخاطب المشاركة في فعل المديح ممكناً إياه من زمام اللفظة والمعنى على أن يحتكم إلى العقل والمنطق (واحكم بما شئت مدحاً واحتكم) فلا يجعل من البشر إلهًا كما فعلت النصارى بعيسى عليه السلام.

ونلاحظ في القصيدة اسم فاعل وضمير خطاب لم يوجهه الشاعر للمتلقي على وجه العموم بل افترض وجود من يعاتبه على شدة حبه للمصطفى ﷺ ويلومه على هذا

(٣٦) البوصيري، بردة المديح المباركة، مرجع سابق، ص٧–٨

(٣٧) المرجع السابق، ص١٢.

(٣٨) الإخلاص، الآية٣

الحب، وهذا الجزء من النص خيالي تقليدي، تخيله الشاعر ليقلد سابقيه من شعراء العربية الذين يفتتحون قصائدهم بالغزل والحب ويدَّعون الإخلاص والوفاء للحبيبة رغما عن عزل العاذل الكائد، يقول البوصيري في هذا المعنى:

يالائمي في الهوى العذري معذرة

منى إليك ولو أنصفت لن تلم

***

عدتك حالي لاسري بمستتر

عن الوشاة ولا دائي بمنهزم

***

محضتني النصح لكن لست أسمعه

إن المحب عن العذال في صمم[٣٩]

ينادي الشاعر عاذله باسم الفاعل (اللائم) ويعتذر له عن سماعه وطاعته متهما إياه بالجور وعدم العدل والإنصاف لأن حبه لا يلومه عليه عادل منصف ويخبره أن لا مجال لسماع نصحه وعزله الآن، إذ إن حبه قد بلغ مدى شاع فيه واشتهر بين الناس حتى الأعداء الوشاة وأنه سقم بالحب الذي أصابه فلا سبيل للقضاء عليه، ثم يعترف للعذول بأن يقلع عن النصح، وعليه أن لا يرجع إليه ثانية، فإن الشاعر لايريد أن يسمع لا يطيع في حبه أقوال العذال وهذا ليس خاصاً به بل هو شأن جميع المحبين، (إن المحب عن العذال في صمم)

وهنا نجد تاء المخاطبة في الفعل (أنصفت) وكذلك الفعل (تلّم) في كليهما ضمير مستتر تقديره أنت يعود على اللائم.

د- الإشارات الشخصية للغائب: وتكون للمؤنث أو المذكر، للمفرد أو الجمع حسب المعنى الذي ترد فيه، ومثالها قوله:

فإن إمارتي بالسوء ما اتعظت

من جهلها بنذير الشيب والهرم[٤٠]

ففيه ضمير مستتر في قوله (اتعظت) إشارة لأمارته بالسوء (نفسه) وفيه الهاء في قوله (جهلها) وهى ضمير غيبه للمفرد المؤنث يعود على أمارته بالسوء نفسه). وفي قول:

فلا ترم بالمعاصي كسر شهوتها

إن الطعام يقوي شهوة النهم[٤١]

ففي قوله(شهوتها) ضمير غيبة يعود على النفس (أمارته)

وفي قوله:

عموا وصموا فاعلان البشائر لم

تسم وبارقة الإنذار لم تسم[٤٢]

فواو الجماعة في (عموا وصموا) إشارة للفرس الذين ذكرهم في البيت الخامس قبل هذا، وكذلك قوله: كأنهم هرباً أبطال أبرهه ...) فالضمير في كأنهم به إشارة للشياطين في البيت السابق وقوله: وأنت تخترق السبع الطباق * في موكب .....) الضمير في بهم يرجع للأنبياء الذين ذكرهم في البيت السابق.

وهكذا وجدنا نمطا رابعا من أنماط الإشاريات الشخصية استعمله البوصيري، وسيلة تداولية أفادت بصدق وعفوية أسهمت في زيادة التواصل وتفهيم المستمع مراد القائل.

الإشاريات الزمانية:

هي كلمات تدل على زمان يحدده السياق بالقياس إلى زمان التلفظ، فإذا لم يعرف زمان التكلم أو مركز الإشارة

(٣٩) البوصيري، بردة المديح المباركة، مرجع سابق، ص١٢.

(٤٠) المرجع السابق، ص٦.

(٤١) المرجع السابق، ص٦.

(٤٢) المرجع السابق، ص١٧

الزمانية التبس الأمر على السامع أو القارئ.[٤٣] لأن الإشارات الزمانية ثلاثية الأبعاد، مابين حاضر وماض ومستقبل، وزمان التلفظ هو دوما مركز الإشارة الزمانية وقد تستغرق الإحالة إلى الزمن المدة الزمنية كلها كأن يقال اليوم الاثنين، وقد تستغرق مدة محددة من الزمان فلا تستوعبه كله ، كأن يقال ضرب زيد عمراً يوم الخميس، فالضرب يستغرق جزء من اليوم. وقد يتسع مدى بعض العناصر الإشارية إلى الزمان فيتجاوز الزمان المحدد له عرفاً إلى زمان أوسع فكلمة اليوم في قولنا: "شباب اليوم" تعني العصر الذي نعيش فيه، ولا يتحدد بيوم مدته أربع وعشرون ساعة. وكل ذلك موكول إلى السياق الذي تستخدم فيه هذه العناصر الإشارية إلى الزمان.[٤٤]

وأَحْيت السَـنَةَ الشَّـهباءَ دَعـوَتُهُ
حتى حَكَتْ غُرَّةً في الأَعصُرِ الدُّهُـمِ

***

بعارِضٍ جادَ أو خِلْتَ البِطَـاحَ بهـا
سَـيْبٌ مِنَ اليمِّ أو سَـيْلٌ مِنَ العَرِمِ

***

دَعني وَوَصفِيَ آيـاتٍ له ظَهَرَتْ
ظُهُورَ نـارِ القِرَى ليـلا على عَـلَمِ[٤٥]

مما نلحظ أيضا إشارة زمانية تتمثل في كلمة "ليلا" التي تعني إشارة لزمان محدد له أول وآخر وقيده كذلك بعبارة الجار والمجرور(على علم) أي حالة كونها على علم وهنا تتجلى وصف علامات النبوة ومعجزاتها.

قال البوصيري في إشارة زمانية تجاوزت الزمان المحدد فيها إلى أطول منه:

يَـومٌ تَفَرَّسَ فيـه الفُرسُ أنَّهُـمُ
قَـد أُنـذِرُوا بِحُلُولِ البُؤسِ والنِّقَمِ[٤٦]

وهنا اليوم حين وزمان غير محدد، تلاها بقوله:

وبـاتَ إيوَانُ كِسـرَى وَهْوَ مُنْصَدِعٌ
كَشَـملِ أصحابِ كِسـرَى غيرَ مُلتَئِمِ[٤٧]

فالإشارة الزمانية في بات تعني غدا وصار صيرورة دائمة لاتعني المبيت ليلةً، وقال في إشارة زمانية سرمدية:

آيـاتُ حَقٍّ مِنَ الرحمنِ مُحدَثَـةٌ
قَـديمَةٌ صِفَةُ الموصـوفِ بالقِـدَمِ

***

لم تَقتَرِن بزمـانٍ وَهْيَ تُخبِرُنـا
عَنِ المَعَـادِ وعَن عـادٍ وعَن اِرَمِ[٤٨]

ويمكننا أن نقول: إنَّ محدثة من الحداثة وهى الجدَّة في الزمان وهى لفظ يحدده السياق، لكنه لم يرد إلا زمان نزولها إذ أردف مع صفة (محدثة) صفة أخرى مضادة وهى (قديمة) التي تناقضها من حيث المفهوم الزمانى، وإن كان قد دخل وخرج من القضية الكبيرة عن قدم القرءان وحداثته كما تحدث عن صفة الله تعالى بالقدم، والموضوع هنا مرتبط بالزمان غير المحدد فالله تعالى قديم إلى ما لا يعلم إلا هو، ثم أخبرنا في البيت التالي أن آيات القرآن التي تخبر أخباراً غير مقيدة بزمان فهي تحمل نبأ الماضي غير المحدود عندنا بتاريخ (عاد

(٤٣) أرمينكو، فرانسواز(١٩٨٧م) المقاربة التداولية، ، ترجمة: سعيد علوش، منشورات مركز الإنماء العربي، ص٤٢.

(٤٤) نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر،٢٠. وَ الشهري، عبد الهادي، إستراتيجيات الخطاب، مرجع سابق، ص ٧٤.

(٤٥) البوصيري، بردة المديح المباركة، مرجع سابق، ص٢١.

(٤٦) المرجع السابق، ص١٢.

(٤٧) المرجع السابق، ص١٦.

(٤٨) المرجع السابق، ص٢٢.

وثمود) كما تحمل نبأ المستقبل بعد أن تنتهي الحياة الدنيا في زمان لا تعرف تاريخه بالتحديد فتخبرنا آيات القرآن عن البعث والمعاد في قوله (سريت من ...) يحدد الشاعر الزمان ، فالسرى هو السير ليلاً وقد قال الشاعر كلمة ليلاً محدداً بها زمن إسرائه ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، واستعمل كلمة (حرم) لأن الأقصى هو ثالث الحرمين. وأتي بكاف التشبيه ليبين أن السرى معروف محدود بليل وهو ما يراه الناس من فعل القمر * وقوله (داج من الظلم) إشارة لليل لأنه كناية عنه، والكناية إشارة. وكلمة بت في البيت التالي تعنى الصيرورة ونترك بقية البيت إلى حينه.

سَرَيتَ مِن حَـرَمٍ ليـلا إلى حَرَمٍ
كما سَـرَى البَدرُ في داجٍ مِنَ الظُّلَمِ

***

وبِتَّ ترقَى إلى أن نِلتَ مَنزِلَـةً
مِن قابَ قوسَيْنِ لم تُدرَكْ ولَم تُـرَمِ[٤٩]

وهنا نرى الإحالة إلى الزمن تستغرق جزءا من المدة الزمانية، فالإسراء تم في جزء من الليل كما تقول المراجع[٥٠] ونرى الإشارة الزمانية محدودة قابلة للانفتاح في قوله عن نفسه:

ومُنذُ ألزَمْتُ أفكَـارِي مَدَائِحَهُ
وجَدْتُـهُ لِخَلاصِي خَـيرَ مُلتَـزِمِ[٥١]

فقد حدد في السياق أن قناعته في عجز البيت مبنية على حد الزمن المشار إليه في صدر البيت، وهذا يسهل تحديده بدراسة تفصيلية لسيرة البوصيري من بداية حياته حتى تحوله إلى المديح النبوي وتنتهي الإشارة الزمانية بلحظة التلفظ، إلا أنها قابلة للاستمرار ما بقي البوصيري حيا، إذ لايتوقع منه تغيير قناعة اقتنعها بعد تجربة سواها لأمد ليس بالقصير، ويقوي هذه الفرضية استعمال لفظة"لن ولم" في البيت التالي لهذا البيت مباشرة:

ولَن يَفُوتَ الغِنَى منه يَـدَاً تَرِبَتْ
إنَّ الحَيَـا يُنْبِتُ الأزهارَ في الأكَـمِ

***

ولَم أُرِدْ زَهرَةَ الدنيـا التي اقتَطَفَتْ
يَـدَا زُهَيْرٍ بمـا أثنَى على هَـرِمِ[٥٢]

وأما البيت أدناه:

وأَحْيت السَـنَةَ الشَّـهباءَ دَعوَتُهُ
حتى حَكَتْ غُرَّةً في الأَعصُرِ الدُّهُـمِ[٥٣]

ففيه إشارتان للزمان هما: السَّنة والأعصر، والسنة الشهباء هي المجدبة، بيضاء من الجدب لا يرى فيها خضرة، وقيل الشهباء التي ليس فيها مطر[٥٤] وليس فيها مطر أي ليس فيها حياة لنبات أو حيوان، أو إنسان قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾[٥٥] وهنا تكون كلمة "أحْيتْ" مناسبة للسنة ودعوة النبي ﷺ، وهي ما أحيا السنة التي أماتها انعدام المطر حتى أن هذه السنة على ما كان فيها صارت بالدعوة ثمرة لعصور من الظلماء سبقتها، والدهم جمع أدهم، وهو الحمرة المائل للسواد، يكون للخيل والإبل وغيرهما، وأراد لها الظلمة مكنياً بها عن الجهل إذ أن دعوته ﷺ أخرجت الناس من الظلمات إلى النور، أحيا السنة الشهباء اتضح في البيت التالي بالعارض الذي جاد فملأ

---

(٤٩) المرجع السابق، ص٢٥-٢٦.

(٥٠) ابن هشام، محمد عبد الملك (٢٠٠٢م) سيرة ابن هشام، ط٢، د.ن، ص ٣٩٤- ٣٩٩.

(٥١) البوصيري، بردة المديح المباركة، مرجع سابق، ص٣٤.

(٥٢) المرجع السابق، ص١٢.

(٥٣) المرجع السابق، ص٢١.

(٥٤) ابن منظور، محمد بن مكرم(د.ت) لسان العرب، مادة(شَهَبَ) دار إحياء التراث العربي ، ط٣، بيروت، لبنان .

(٥٥) الأنبياء، الآية:٣٠

البطاح، وفي البيت التالي: قال: دعني ووصفي ..."استخدم ف آخره إشارة زمانية هي قوله ليلًا التي استعملها في معرض التشبيه لإثبات كمال الظهور والبيان لعلامات دعوته ونبوته ﷺ، مع أن استخدامنا الأبيات لإثبات الإشارات الزمانية إلا أنها تحمل إشارات شخصية تمثلت في ضمير المفرد المذكر في قوله "دعوته، وله" وآثرنا عدم الخوض فيها لمشابهتها للمبحث السابق.

ومن الإشارات الزمنية قوله:

"تمضي الليالي ولا يدرون عدتها

ما لم تكن من ليالي الأشهر الحرم[٥٦]"

كان هذا البيت في معرض الحديث عن شجاعة المسلمين في غاراتهم على الكفار الذين صاروا يهابونهم ويحرصون على عد" ليالي الأشهر الحرم " التي ينتهي بانتهائها أمنهم، إذ لا يحاربهم المسلمون فيها، أما غيرها من الليالي فهم في شغل عن عدها إما لحروبهم مع المسلمين أو لفرط وجلهم منهم، والإشارة الزمانية هنا جيدة لما حوته من معنى وصل المتلقي بغير استعمال ألفاظ معجمية تحمل المعنى صراحة، المعاني التي أرادها مثل: الخوف، الفزع، الوجل، الانشغال بالحرب والاستعداد للقتال وغيرها، وهذا سهل الاتصال بين المرسل والمتلقي فوسع المعنى المنقول بينهما وقلل الألفاظ. وتبرز الإشارة في الهاء في "عدتها" وهي إشارة زمانية تعود إلى الليالي، وكذلك الضمير المستتر في قوله"تكن" يعود على الليالي.

والإشارات الزمانية عند البوصيري تتسم أحياناً بالإبهام في ذاتها مع قدرتها على إجلاء المعنى المتصل بالنص الذي يحملها ومن ذلك قوله:

ومَنْ يَبِع آجلاً منه بِعَاجِلِهِ

يَبِنْ لَهُ الغَبْنُ في بيعٍ وفي سَلَمِ

***

وإن آتِ ذَنْباً فما عهدي بِمُنْتَقِضٍ

مِنَ النبي ولا حَبْلي بِمُنْصَرِمِ[٥٧]

فنلحظ في البيتين استخدام الألفاظ"آجلاً، عاجله، عهدي" وكل واحدة منها إشارة زمانية غير محدودة المدى مبهمة غير جلية في نفسها فالآجل مثلاً هو الزمان الآتً بغير محدودية لبدايته إلا حسبما يوحى السياق ومن سياق النص هو آخرة الحياة الدنيا وهي غير معروفة البداية لارتباط بدايتها بموت الإنسان وانقض وهو أجل غير مسمى عند صاحبه، والآجل قد يكون إشارة زمانية للحياة الدنيا، أما إبهامه فيكمن في إن صاحبه يعرف بدايته ويجهل نهايته أو مداه لإبهامها عليه. أما العهد الذي هو الزمان فله معان عديدة إن عددناها أغرقته في الإبهام أكثر، فمثلاً إن قلت: عهدي بفلان صادق القول، كان معناها علمي به، وإن قلت: عهدي معك أن تفعل، كان معناها اتفاقي، وإن قلت: في عهد عمر بن الخطاب دونت الدواوين. كان معناها زمان خلافته وليس زمان حياته في الدنيا. وفي هذا البيت كلمة "عهدي" بمعنى اتفاقي ووعدي مع أن ظاهرها يشي بإشارة زمانية واضحة لوى عنقها السياق وذهب بها في غيره.

والإشارات الزمانية تكون أحياناً عند البوصيري وسيلة لا غاية،فنجده يستعملها لإيصال معنى أراد إيصاله للمتلقي غير مَعْنّى بمداها الزمني، ومن ذلك قوله الذي تعرضنا له سابقا:

ومُنْذُ ألزمنٌ أفكاري مدائحه

وجدته لِخلاصي خَيْرَ مُلْتَزِمِ[٥٨]

([٥٦]) البوصيري، بردة المديح المباركة، مرجع سابق، ص٢٨.

([٥٧]) البوصيري، بردة المديح المباركة، مرجع سابق، ص٣٣.

([٥٨]) المرجع السابق، ص٣٤.

فمنذ إشارة زمانية تفيد ابتداء المدة، والشاعر هنا يريد أن يوصل لمتلقيه معلومة مفادها أن الخلاص والنجاة والخير بالقرب من الرسول ﷺ ومديحه عمل يفيد صاحبه في الدارين، وأن انشغال الفكر به أفضل من الانشغال بغيره.

الإشارات المكانية:

وهي كلمات الإشارة نحو هذا وذاك للإشارة إلى قريب أو بعيد من مركز الإشارة المكانية، وكذلك هنا وهناك من ظروف المكان التي تحمل معنى الإشارة إلى قريب أو بعيد من المتكلم وسائر ظروف المكان مثل: فوق، وتحت، أمام، وخلف.(٥٩)

وهذه العناصر الإشارية إلى المكانية تعتمد في استعمالها وتفسيرها على معرفة مكان المتكلم وقت التكلم، أو على مكان آخر معروف للمخاطب أو السامع، ويكون لتحديد المكان أثره في اختيار العناصر التي تشير إليه قرباً أو بعداً أو وجهة. ولا نستطيع تفسير هذه الألفاظ الإشارية إلا إذا وقفنا على ما تشير إليه بالقياس إلى مركز الإشارة إلى المكان ، فهي تعتمد على السياق المادي المباشر الذي قيلت فيه.(٦٠)

فلو قال شخص: أحب أن أعمل هنا.

فهل يعني: في هذا المكتب، أو في هذه المؤسسة، أوفي هذا المبنى، أو في هذه القرية، أو في هذه الدولة...فكلمة هنا تعبير إشاري مكاني غير مقيد، وإن كان يشير إلى شيء قريب من المتكلم إلا إنه قد يكون بعيداً عن المخاطب، فلا يمكن تفسيره إلا بمعرفة المكان الذي يقصد المتكلم الإشارة إليه.(٦١)

وتتعقد المسألة إذا كان المخاطب لا يرى المتكلم، فمثلاً حين يصف شخص لصديقه مكانه عبر الهاتف: تقع الجامعة على يميني.

فبالرغم من اكتمال الخطاب لغة، وبالرغم من معرفة المرسل إليه بموقع الجامعة، إلا أنه يصعب معرفة موقع المرسل بالتحديد، فلا يقدر على ذلك إلا إذا استطاع أن يعرف اتجاه سير المرسل.(٦٢)

ويقول البوصيري:

مثلَ الغمـامَةِ أَنَّى سارَ سـائِرَةً
تَقِيـهِ حَرَّ وَطِيسٍ للهَجِـيرِ حَمِي

***

وما حوى الغـارُ مِن خيرٍ ومِن كَرَمِ
وكُـلُّ طَرْفٍ مِنَ الكفارِ عنه عَمِي

***

فالصدقُ في الغـارِ والصدِّيقُ لم يَرِمَا
وهُم يقولون مـا بالغـارِ مِن أَرِمِ(٦٣)

وتتبدى إشارات الخطاب في قوله (سائرة) ومكان سيرها يحدده مكان (أنى سار) وكلاهما إشارة مكانية لمكان غير معلوم للمتلقي لأنه غير معلوم أصلاً للمتحدث، وهي في خبر السيرة لا يحدد بها مكان معين، فالغمامة تظل الرسول ﷺ حيثما سار، أي في أي مكان وفي كل مكان يحتاج ممن يسير فيه للظل ... (وما حوى الغار) فالغار مكان مسمى معروف. والخير والكرم كناية عن الرسول ﷺ، وهو لم يشغل مساحة الغار كلها وإنما جزء من هذه

(٥٩) نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، مرجع سابق، ص٢٢.

(٦٠) المرجع السابق، ص٢١. والشهري، عبد الهادي، إستراتيجيات الخطاب، مرجع سابق، ص٨٥ .

(٦١) نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، مرجع سابق، ص٢٢.

(٦٢) الشهري، عبد الهادي، إستراتيجيات الخطاب، ص٨٤.

(٦٣) البوصيري بردة المديح المباركة، مرجع سابق، ص١٢.

المساحة لكن الله أعمى الكفار فلم يروا الرسولﷺ ولا صاحبه . وقوله (الصدق) فالصدق والصديق أراد بهما الرسول ﷺ وصاحبه وهما لم يشغلا مساحة الغار كلها كما ذكرنا وفي الغار) وبالغار إشارتان مكانيتان لمكان الرسول ﷺ وصاحبه، يقول البوصيري: (وبات إيوان كسرى) والإيوان مكان معروف أشار إليه إشارة مكانية في قوله (منصدع) فالضمير المستتر في اسم الفاعل يعود على مكان هو الإيوان وهي إشارة مكانية وكذلك قوله (وبتَّ ترقى إلى أن نلت منزلة من قاب قوسين ...) فقوله (ترقى) نفهم منه المكانية لأن الرقي يحتاج لمكان يرتقى فيه الراقي والمعنى هنا مادي وليس الارتقاء معنوي بدليل أن هذا مذكور في السير في ليلة الإسراء وكان مع النبي ﷺ جبريل ووصلا إلى مكان قال فيه جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم: إذا تقدمت سأحترق[٦٤]، فهنا نجد أن الفعل(ترقى) يحمل في داخله إشارة لمكان الفعل إذ ليس المهم هنا الفعل وإنما مكانه يدعم رأينا قوله البوصيري (منزلة من قاب قوسين) فالمنزلة المكانة هنا، وقاب قوسين القرب وظاهرة القرب المكاني والله اعلم.

أما الإشارات المكانية مثل:هنا وهناك. وظروف المكان مثل: خلف وأمام وفوق وتحت فهي في النص نادرة الاستعمال، ربما لطبيعة النص،ولكن مما استعمله:

وشد مِنْ سَغَب أحْشاءَهُ وطوى

تَحْتَ الحجارةِ كشْحاً مُتْرَف الأدَمِ[٦٥]

فالظرف المكاني (تحت) هنا إشارة لمكان في جسد النبي ﷺ، فهو من شدة الجوع يربط الحجر على بطنه ﷺ، والمكان هنا لي ما يتبدى من ظاهر اللفظ.

ومن أسماء المكان التي أشار إليها البوصيري قوله:

وساء ساوةَ أن غاضت بحيرتها

ورُدّ واردها بالغيظ حين ظمى[٦٦]

فالهاء في(بحيرتها، واردها) يعود أولهما على ساوة وهو مكان البحيرة المقدسة عند المجوس، ويعود الثاني على البحيرة المقدسة عندهم وهما إشارتان مكانيتان.

وكذلك في قوله:

كأنَّها الحوضُ تَبيَضُّ الوُجُوهُ بِهِ

مِنَ العُصَاةِ وقَد جاؤُوهُ كالحُمَمِ

***

وكالصِّراطِ وكالميزان مَعدَلَةً

فالقِسطُ مِن غيرِهَا في النـاسِ لم يَقُمِ[٦٧]

فالضمير في(به) في البيت الأول يعود على الحوض الذي هو حوضه ﷺ وهو مكان، والهاء في قوله (غيرها) في البيت الثاني إشارة به إلى الصراط والميزان والذي يعنينا هنا هو إشارته للصراط لأنَّ الصراط يُجْتاز فمعنى هذا أنه مكان وجزء من الإشارة له، وإن كان جمع معه في الإشارة غير المكان الميزان والله أعلم.

الإشاريات الاجتماعية:

وهي ألفاظ وتراكيب تشير إلى نوع العلاقة الاجتماعية بين المتكلمين والمخاطبين، من حيث هي علاقة رسمية أو علاقة غير رسمية، أي علاقة صداقة أو ألفة. والعلاقة الرسمية يدخل فيها صيغ التبجيل في مخاطبة من هم أكبر سناً ومقاماً من المتكلم، أو مراعاة للمسافة الاجتماعية بينهما فتشمل الألقاب، فخامة الرئيس، جلالة

([٦٤]) رحلة المعراج،(*www.startimes.com*)

([٦٥]) البوصيري، بردة المديح المباركة، مرجع سابق، ص٩.

([٦٦]) المرجع السابق، ص١٦.

([٦٧]) البوصيري، بردة المديح المباركة، مرجع سابق، ص٢٤.

الملك، سمو الأمير، والسيد والسيدة وما إليها...أما العلاقة غير الرسمية فتشمل النداء بالاسم المجرد..[٦٨]

فمسألة تحديد نوع العلاقة الاجتماعية بين أطراف الخطاب مسألة نسبية.[٦٩] تختلف من موقف لآخر، ومن حيث قرب أو بعد الأطراف، سواء كان القرب أو البعد مادياً أو اجتماعياً أو نفسياً.

فَحُزتَ كُـلَّ فَخَارٍ غيرَ مُشتَرَكٍ
وجُزْتَ كُـلَّ مَقَـامٍ غيرَ مُزدَحَمِ
وجَـلَّ مِقـدَارُ مـا وُلِّيتَ مِن رُتَبٍ
وعَزَّ إِدراكُ مـا أُولِيتَ مِن نِعَـمِ
بُشـرَى لنا مَعشَـرَ الإسلام إنَّ لنا
مِنَ العِنَايَـةِ رُكنَـاً غيرَ منهَـدِمِ
لَمَّا دَعَى اللّهُ داعينـا لطـاعَتِهِ
بـأكرمِ الرُّسْلِ كُنَّـا أكـرَمَ الأُمَـمِ[٧٠]

ما يمكن أن نلحظه هنا أن الخطاب في قصيدة البردة البوصيري فكان مباشرا، في بعض عبارته أي استعمل صيغة الخطاب المباشر، وهذا يعد أقصى درجات الموضوعية؛ أي بقدر ما يلتزم عموما بالنقل الحرفي دون تحريف، حتى إنا نعتقد أن الخطاب الذي يستخدم هذه الطريقة يحوي نسبة عالية من الموضوعية والمصداقية ويبتعد كثيرا عن التزلف والتملق وفي الوقت ذاته يحافظ على احترام المشار إليه من خلال المعنى والموضوع، ومن ذلك أن تاء المخاطب في"حزتَ" تلاها كل فخار في البيت الأول وسبقها"جل مقدار" في البيت الثاني، ووصف المخاطب بالتاء بالركن غير المنهدم، وفي البيت الثالث بأكرم الرسل.

وإن كان غير المباشر : فهو الذي يتولد عند امتصاص خطاب الآخر وأدائه بطريقة غير حرفية ؛ مما يتطلب تحويل أزمنته الفعلية ، وتعديل ضمائره وإشاراته كي تتسق في اتجاهاتها وإحالاتها ، الأمر الذي يجعله مختلفا عن الخطاب المباشر؛ إذ يقوم القائل هنا بإعادة صياغة الكلام الذي ينقله متوخيا الدقة في نقله حينا ، أو إيجازه واقتطاع بعض أجزائه حينا آخر، ومستخدما كلماته هو يؤدي بها ما قاله المتكلم المنقول عنه . عندئذ تبدو الإشارات والأزمنة والضمائر التي اختارها المتكلم – للوهلة الأولى – أقل موضوعية وحيادا عادة من الخطاب المباشر ، وعندئذ فإن (فاعل الخطاب) يدخل نفسه في الشخصية التي تتكلم ويتحدث من خلالها كأنها قناع له، مما يكشف عن تراوح القول بين المنظور الخارجي واتخاذ موقف الشخصية المنقول عنها ، الأمر الذي يؤدي بالضرورة إلى نوع من التداخل بين الفواعل، فالفاعل فاعلٌ، والراوي فاعلٌ، وتعدد الفواعل لا يشترط فيه تعدد الأصوات في الخطاب، بل يتجلى في بعض الأبنية القولية التي تسمح بإدخال متحدث آخر في النص ذاته بشكل غير مباشر، لكي تعمد بعد ذلك إلى رفضه أو تأييده. وذلك مثل القول الذي يتكئ على النفي؛ إذ يتضمن مقولة الإثبات ويشير إليها أيضا، فالبوصيري في نظر الباحث يعد تداوليا في خطابه، متسقا فيه.

الإشارات الخطابية:

هي اقرب كثيرا لما فرغنا منه (الإشارات الاجتماعية) إذ إن كليهما تعني بجانب داخلي شخصي يرتبط بالمكانة الاجتماعية للمتحدث والسامع، وان كانت الإشارات الاجتماعية معنية أكثر بالمظهر والمكانة الاجتماعية، فان الإشارات الخطابية تتيح للمتحدث قدرا من الحرية في

([٦٨]) المتوكل، احمد(٢٠١٠م) الخطاب وخصائص اللغة العربية، دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، ط١، الدار العربية للعلوم، ص٢٥.

([٦٩]) أرمينكو، فرانسواز، المقاربة التداولية، مرجع سابق، ص٤٢.

([٧٠]) البوصيري، بردة المديح المباركة، مرجع سابق، ص٢٧.

تقييم مكانه الاجتماعية والثقافية والدينية، وربما الاقتصادية، مما يمكنه بناء على هذا القدر الاجتماعي أو الثقافي...الخ،أن تحدث للآخرين ويخاطبهم مراعيا هذا القدر، وربما نلمح في خطابه للآخرين إلزامهم باحترام هذا لقدر؛ بمعنى أن المدير في مصلحة ما عندما يخاطب من يدير عملهم نجده يأمر ولا يطيع أوامرهم وربما يزجر ويرفع صوته استنادا على مكانته الإدارية ، أما الموظف الصغير فلو أراد شيئا من مديره،نجده يخاطبه (سيادتك) وهنا الاعتراف بالقدر واضح، ونلحظ هذا في الحياة وتخاطب الناس، فخطابك لوالدك غير خطابك لأخيك، وغير خطابك لابنك، وليس في هذا التباين غير الإحساس بالقدر أيا كان سببه، ونلحظ في البردة في كل الأبيات التي ورد فيها خطاب، مثل قوله:

فـما لِعَينـيك إن قُلتَ اكْفُفَـا هَمَـتَا
وما لقلبِكَ إن قلتَ استَفِقْ يَهِـمِ[٧١]

أشرنا للتفصيل والإشاريات في هذا البيتين سابقا ونورده هنا فقط بقصد الإشارة لإحساس المخاطب بقدره، فالبوصيري في هذا البيت ضعيف عاجز لفرط حبه وشوقه، يطلب ممن يخاطب شيئا فلا يطيعه ولايكتفي المخاطب بالعصيان بل يفعل عكس المطلوب منه (قلتُ أكففا)، و(قلتُ استفق) لكن الشاعر لا يظل طوال النص في هذا الحال من العجز، فنجده في بعض أبياته يساوي مخاطبه ويقارعه الحجة بالحجة في مثل قوله:

يـــا لائِمي في الهوى العُذْرِيِّ مَعـذرَةً
مِنِّي إليك ولَو أنْصَفْتَ لَم تَلُـمِ[٧٢]

هنا يخاطب البوصيري عذوله بندية تجعله يعتذر عما يلام عليه، وهو غير معترف بما يراه المخاطب خطأ، وإن كان قد قدم الاعتذار من الذوق واللباقة، بدليل طعنه في عدالة مخاطب وهو يجهر بهذا(لو أنصفت لم تلم..)، وهنا قدر المتكلم مساويا لقدر من يخاطبه. وفي بعض مخاطباته يبدو الشاعر متحديا لمن يخاطبه، ومن ذلك قوله:

مَحَّضْتَنِي النُّصْحَ لكِنْ لَسـتُ أسمَعُهُ
إنَّ المُحِبَّ عَنِ العُـذَّالِ في صَمَـمِ[٧٣]

وفي قوله (لست اسمعه) يستشعر موقف المتكلم من مخاطبه وإحساسه بالفوقية في القدر بناء على صواب موقفه خطأ موقف من يخاطبه(اللائم) ونرى البوصيري في مواقف أخرى رجلا كبير السن غزير الخبرة بالحياة، عالم ببواطن الأمور ما يجعله في موقف الناصح لمخاطبه يقدم النصائح معللة فلا نملك جمهور قراء البردة إلا أن ننصاع لخطابه طائعين إن وفقنا الله وذلك في مثل قوله:

وخالِفِ النفسَ والشيطانَ واعصِهِمَا
وإنْ همـا مَحَّضَـاكَ النُّصحَ فاتَّهِـمِ
ولا تُطِعْ منهما خصمًا ولا حكَمَـا
فأنت تعرفُ كيـدَ الخَصمِ والحَكَـمِ[٧٤]

ففي قوله(خالف، اعصهما، لاتطع، تعرف) المخاطب ضمير مستتر يعود تقديره أنت يعود على القارئ والسامع للبردة والأفعال المستعملة هي: الأمر، والنهي والمضارع، والأمور المأمور بها، والمنهي عنها، والمنبه إليها في هذه الأفعال مقنعة عقلا وشرعا، فلم يخالف أحد نصائح البوصيري في هذه الأمور لأنها خير لهم، والبوصيري يعرف هذا ويعرف انه (يأمر) بدليل قوله في آخره(أمرتك الخير لكن ما ائتمرت...)[٧٥].

---

(٧١) المرجع السابق، ص٣.
(٧٢) المرجع السابق، ص٥
(٧٣) المرجع السابق، ص٥.
(٧٤) المرجع السابق، ص٨.
(٧٥) المرجع السابق، ص٨.

فالبوصيري في هذا البيت يستعطف المخاطب أن يتبعه مذكرا إياه بان ما أمره به الخير، وان لم يطعه فلابد انه يندم لإضاعة عمره في طاعة النفس والشيطان، وكلاهما وبال على صاحبه، مشيرا إلى انه قد توصل إلى هذا النصح بعد أن أضاع هو عمره في غير الخير الذي يريده للآخرين، وكأنما يعتذر عن أوامره في قول:(وما استقمت فما قولي لك استقم) ولم نتوقف عند الإشاريات الخطابية تفصيليا في هذه الأبيات لأنها شبيه بما أوردناه سابقا.

الخاتمة

في ختام هذا البحث الموجز عن تداولية الإشارة في بردة الإمام البوصيري توصلنا **للنتائج** الآتية:

١. أن النصوص تكتسب قيمتها من سباقها التداولي.
٢. أن الإشارات تسهم في التواصل وزيادة فهم المستمع لما يقال.
٣. أن الإشارات الشخصية في بردة البوصيري تنقسم إلى:

أ- الإشارات الشخصية النبي ﷺ.

ب- الإشارات الشخصية للمتكلم (البوصيري) نفسه وهذه لونها البوصيري ما بين ضمير المتكلم وضمير المخاطب.

ج- الإشارات الشخصية للمخاطب.

د- الإشارات الشخصية للغائب.

٤. الإشارات المكانية في بردة البوصيري أقل من الإشارات الزمانية.
٥. الإشارات الاجتماعية لدى البوصيري عفوية توصى بالصدق.
٦. تداولية الإشارة تندرج تحت التداولية التطبيقية المعنية بمشكلات التواصل وهو ما تحققه الإشارات في البردة على اختلاف أنواعها.

التوصيات:

١. توصى الدراسة بضرورة تطبيق المفاهيم النظرية على نصوص أدبية جيدة ورصينة من القديم والحديث.
٢. توصى الدراسة بالبحث العميق في مختلف مناحي الدرس التداولي وإسقاط مرجعياته على النصوص الأدبية.
٣. توصى بدراسة نصوص العصور الوسيطة، التي يغفلها الدارسون بحجة انتمائها لعصر الركود.

المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم.**

١. الزمخشري، جارالله بن عمر(١٩٧٣م) أساس البلاغة، مادة دوال، ط٢، دار الكتب.
٢. ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (د.ت) لسان العرب، مادة دول، طبعة بولاق، مصر، د. ت.
٣. ويكيبيديا،(٢٠١٤/٩/٢) www.startimes.com)
٤. صحراوي، مسعود(٢٠٠٥م) التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي، ط١، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت.
٥. يول، جورج (د.ت) التداولية، ترجمة: قصي العتابي، ط١، الدار العربية.
٦. يونس، محمد (٢٠٠٦م) علم التخاطب الإسلامي: دراسة لسانية لمناهج علماء الأصول في فهم النص، دار المدار الإسلامي.
٧. نحلة، محمود أحمد (٢٠٠٢م) آفاق جديدة في البحث اللغوي، دار المعرفة *الجديدة* ، مصر.
٨. *الشهري، عبد الهادي*(٢٠٠٢م) *استراتيجيات الخطاب*: مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة.
٩. بلعيد(٢٠٠٥م) التداولية البعد الثالث في سيميوطيقا موريس(فصول، ربيع، عدد ٦٦، ٢٠٠٥).

١٠.أرمينكو، فرانسواز(١٩٨٧م) المقاربة التداولية، ترجمة: سعيد علوش، منشورات مركز الإنماء العربي.
١١.دايك، فان(٢٠٠٠م) النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة: عبد القادر قنيني، الدار البيضاء، أفريقيا الشرق.
١٢.الحموي، ابن حجة (١٩٨٥م) شرح قصيدة كعب بن زهير، ت: علي حسين البواب، مكتبة المعارف، الرياض.
١٣.صبيحة بنت عبد الغني حليمة بنت عبد الله، وآخرون(٢٠٠٤م) قراءَةٌ في بُردةِ الإمامِ البُوصيريّ معانيها.
١٤.فلاق، محمد(٢٠١٠) إظهار صدق المودة في شرح البردة،(رسالة ماجستير غير منشور) جامعة مولاي معمري، الجزائر.
١٥.البوصيري(١٩٩٥م) بردة المديح المباركة، شرح الدكتور أحمد عمر هاشم، دار المقطم للنشر والتوزيع، القاهرة.
١٦.المتوكل، أحمد(د.ت) قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، الدار البيضاء، دار الثقافة.
١٧.البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل(٢٠١٢م) صحيح البخاري ، دار التأصيل.
١٨.ابن عقيل(١٩٩٩م) شرح ابن عقيل، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة دار .
١٩.المتوكل، احمد(٢٠١٠م) الخطاب وخصائص اللغة العربية، دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، الدار العربية للعلوم، ط١، الدار العربية للعلوم.
٢٠.ابن هشام، محمد عبد الملك (٢٠٠٢م) سيرة ابن هشام، ط٢، د.ن.
٢١.ابن منظور، محمد بن مكرم(د.ت) لسان العرب، مادة(شَهَبَ) دار إحياء التراث العربي ، ط٣، بيروت، لبنان.